مع غزّة

بلال خبيز
كلّنا غزيّون

تقف هذه الزاوية مع مبدع عربي في أيام العدوان على غزّة وكيف أثّر على إنتاجه وحياته اليومية، وبعض ما يودّ مشاركته مع القرّاء. «نعيش ما نعيشه في الوقت الضائع بين مقتلتين»، يقول الشاعر والكاتب اللبناني لـ «العربي الجديد»

لوس الجليس ـ العربي الجديد

■ ما الهاجس الذي يشغلك هذه الأيام في ظل ما يجري من عدوانٍ إبادةٍ على غزّة؟

في هذا العدوان تبدّى عجزنا جميعاً عن أن نكون مؤثرين أو قادرين على تغيير ما يجري أو تحسين مصائر المعرضين لهذا الهول. لو حدث أن انتهى العدوان في بضعة أسابيع، لكنا حسبنا أنّ تظاهراتنا وصراخنا وكتاباتنا وتنديدنا ساهمت إلى حدّ ما في وقف المجزرة. لكننا فعلنا هذا كلّه، ولم تتوقّف. والحال، وجدنا أنفسنا في موقع من لا يستطيع أن ينجز غير انتظار مصيره. في واقع الأمر، كلّنا غزّيون. بمعنى أننا جميعاً بلا سند، ويمكن أن نتعرّض لحملة إبادة. نستطيع أن نحزن، أن نبكي، أن نصرخ، لكننا على ما يبدو نجلس جميعاً في انتظار دورنا.

■ كيف أثّر العدوان على حياتك اليومية والإبداعية؟

هذا العدوان ليس عارضاً في حياتنا الإبداعيّة والكتابيّة. إنّه متاصّل وسيترك آثاره العميقة آجلاً أم عاجلاً على إنتاجنا. نحن نسائل أنفسنا اليوم إن كان ثمّة جدوى لأيّ مما نفعله. حين نختبر قصصنا في روايات وأشعار، أو نبوح بأفكارنا في كتابات أخرى، فإنما نقول إننا نعيش ما نعيشه في الوقت الضائع بين مقتلتين. الذين يعيشون في غزّة ختموا هذه الدروس وحفظوها عن ظهر قلب. حاجتهم للبوح والكلام مضنية وحادّة، لكنهم على الأرجح يعرفون أنّ ما سيقولونه لن ينجح في تعريفنا بما عانوه. لقد تحوّلنا جميعاً مع مجزرة غزّة، إلى فاقدي نطق. ما نكتبه ونقوله اليوم، إنما نقوله بوصفه مما مضى وعبر. ما ننتظره ليس أبعد من الصمت. صمتٌ يشبهُ صمتَ القبور.

■ إلى أي درجة تشعر بأن العمل الإبداعي ممكنٌ وفعّال في مواجهة حرب الإبادة التي يقوم بها النظام الصهيوني في فلسطين اليوم؟

لا أعتقد أننا قادرون على التأثير في مسار الحرب أو مواجهتها. أعتقد أننا قد ننجح في منع تكرارها، إذا واتانا الحظ وأسعفتنا المصادفات. مع ذلك أشكّ في نجاحنا. في مثل هذه الأحوال الصعبة، نحن نميلُ لأن نبكي أكثر مما نميل لأن نعمل ونفكر. النظاهرات في حقيقتها ليست سوى صراخ حزّاني، والحديث عن تغيير الرأي العام ليس أمراً يمكن تصوّر نتائجه قبل عقود. إذا كان ثمّة من مهمة جليلة يجدر بنا أن نضطلع بها، فهي المهمّة القاضية بجعل الضحيّة التي تعاني اليوم قادرة على جعل ألمها ينتصر، ولو بعد حين. هذا مع كلّ ما في هذا السعي من تجاهل لما يُراق من دماء. أحوالنا تدعو إلى الأسى. يجب أن نفكر في المستقبل، لكننا ما إن نحاول البدء بالتفكير حتى ندرك أننا قررنا دفن كلّ الذين ماتوا والذين ما زالوا أحياء في غزّة ليتسنى لنا أن نعبر إلى مستقبل ما!

■ لو قيّض لك البدء من جديد، هل ستختار المجال الإبداعي أو مجالاً آخر، كالعمل السياسي أو النضالي أو الإنساني؟

لو قيّض لي، فلنْ أعمل في السياسة. السياسة تعريفاً، هي التضحية بالحاضر من أجل المستقبل. الحاضر هو نحن الناس الذين يحاولون ما أمكنهم أن يتجنبوا وقوعهم موقع ضحايا المستقبل. السياسيون والمناضلون، كما عرفناهم في القرنين الماضيين، هم هؤلاء الذين يصنعون مستقبلهم على دماء ضحايا أفكارهم. لو قيّض لي أن أبدأ مجدداً، كنت ساكتب. أكتب عن كل ما يحول دوني ودون تحقّق الدعة والأمان لي وللآخرين من حولي.

■ ما هو التغيير الذي تنتظره أو تريده في العالم؟

منذ زمن أقلعت عن وهم قدرة البشر، فرادى ومجتمعين، على تغيير معالم المستقبل. ما أريده حقيقة هو صناعة شبكات أمان اجتماعية في كلّ مكان وكلّ زاوية، تسمح للناس أن يقاوموا التغييرات الهائلة التي تطرأ على حيواتهم، وتسمح لهم بتجاوزها أحياء. كثيراً ما نسمع أخباراً عن قتلة متسلسلين في الولايات المتحدة، وغالباً ما نرى انتشار هذه الظاهرة إلى أسباب غير مفهومة. وأنا أعتقد أنّ هؤلاء هم استشهاديو هذه البلاد. هؤلاء الذين يعترضون بشدّة على النظام الاجتماعي القائم، لكنهم يدركون في قرارتهم أنهم لا يستطيعون التغيير، لذا ينفجرون كقنبلة.

■ شخصية إبداعية مقاومة من الماضي تودّ لقاءها، وماذا ستقول لها؟

بوكوفسكي. لأنه كان فاقداً للأمل، يعيش كدبٍّ وحيد. يأكل ما تيسّر ويعمل ما تيسّر، ويعشق ما تيسّر. نحن الذين ندّعي أننا نجح في قتل أوهامه. كلنا نكتب ونناضل ونتزوج وننجب أملاً في غدٍ أفضل. أما هو فكان يعيش يومه فقط. الغد ليس مما يمكن التخطيط له، فلتشرق الشمس وسنفكر في لحظة شروقها إن كنا قادرين على إنهاء هذا اليوم.

فلنضمّ إلى حيث تقودنا أقدامنا، ذلك أننا لا نملك وجهة لنمضي إليها. ومن يحسب أنه يملك وجهة لمساره وغداً للتخطيط له يمكنه أن يمرّ بقربنا من دون أن يلقي التحية.

■ كلمة تقولها للناس في غزّة؟

ما الذي يسعني قوله في هذا المجال؟ أيّ كلام يمكن أن يوازي أو يقترب مما يجري هناك؟ بعيداً عن أيّ موقف سياسي أو فكري أو أيديولوجي: هؤلاء الناس هناك ما كانوا مرّة فائضين عن حاجة هذا العالم. دائماً كانوا بيننا، نحن الذين ندّعي أننا ما زلنا ضروريين للعالم، ومع ذلك تجري عملية إبادة إنسانيّتهم على نحو لا مثيل له. ما الذي يعصمنا من مثل هذا المصير؟ نحن الذين نحسب أننا ما زلنا نملكُ ترف أن نكتب ونتحدّث ونعمل وننام لياليَنا في أسرّتنا هادئين.

هذه المجزرة أثبتت لنا أننا نحن الذين نحسبُ أنفسنا ناجين، إنما ننجو في الوقت الضائع. في الوقت الذي تغفل عين هذا العالم عنا. وما إن تنظرنا أو تلاحظنا حتى ندخل نحن أيضاً في نفق المجزرة.

■ كلمة تقولها للإنسان العربي في كلّ مكان؟

ربما يجدر بي أن أنصح الإنسان العربي في أيّ مكان من العالم أن يقلع عن بعض الأوهام التي يحملها منذ قرنين على الأقل: هذا العالم ضيّق ووعر. وليس ثمّة مكان يمكننا أن نحط رحالنا فيه على نحو يبقي لنا هوياتنا. ثمّة من ينأصرنا ويدافع عنا في هذا العالم، لكننا في ما يبدو عشيرة أو هنري مور. لا أريد بذلك أن أردّ أعمال هادي سي إلى أيّ من هؤلاء، لكن واقعة أنّ أعماله تدعونا إلى التفكير بهؤلاء الأساطين، واسترجاع أعمالهم، ومقابلتها بالعمل الذي خلقه هادي سي. هذا لا يحدث إلّا لأنّ أعمال النحّات تملك من القيمة ومن القوّة ما يدعونا إلى استرجاع هؤلاء وتذكّر أعمالهم. هذا بحدّ ذاته شهادة مهمّة لفنّه، أي أنّ إنّ الهوية في عمقها هي ذكرياتنا البائسة والسعيدة على حدّ سواء، فيجدر بنا ألّا ننسى. فقط بالتذكر نكون أنفسنا ونكون أبناء وأهلاً لهؤلاء الذين تدهسهم حافلة العالم المضاء.

■ حين سُئلت الطفلة الجريحة دارين البيّاع التي فقدت معظم أفراد عائلتها في العدوان، ماذا تريدين من العالم، أجابت «رسالتي للناس إذا بيحبوا دارين يكتبوا لي رسالة أو أي إشي».. ماذا تقول لدارين ولأطفال فلسطين؟

لا قدرة لي على أن أنصّب نفسي في موقع رجل إنقاذ. أنا أيضاً مهزوم ومنكسر ومجروح. لكنّ كلّ هذه الانكسارات لا تعفيني من تمنّي معانقة دارين، التربت على كتفها بلمسة الرقة. لأقول لها إنّ العالم وحش يا صغيرتي، لكنّ هذه الكلمات التي قد تشعرك بالدّعة للحظات قليلة تعادل أزماناً لا تحصى وحيوات لا عدّ لها.

بلال خبيز

نميلُ لأن نبكي أكثر مما نميل لأن نعمل ونفكر

الضحية التي تعاني اليوم قادرة على جعل المها ينتصر

بطاقة

شاعر وكاتب وفنّان لبناني من مواليد عام 1963، يعمل في الصحافة منذ 1987. له في الشّعر: «رتّما ذكرى هواء»، و«من مرض والدي والحرّ الذي لا يُطاق»، و«مدينتان» (بالاشتراك)، وله في النقد الأدبي والفني: «في أن الجسد خطيئة وخلاص»، و«عنقي ارفع من شعرة» (بالاشتراك)، «المعرفة لا تسيء الجهد»، و«الصورة الباقية والعالم الزائل»، و«العولمة وصناعة الأحداث الزائلة»، و«التقدّم نحو الكارثة»، و«العالم وهو يهجرنا».

معرض

هادي سي في النحت ومعلّميه

هذا اللعب بالأرقام

نحت هادي سي هو هذه القدرة على الحبك والتشكيل في أعمال تبدو في التفافاتها، وفي تكاوينها وتداخلاتها وتشبيكها، ذات جمل شاعرية او شعرية

عباس بيضون

يُصرّ هادي سي، النحّات اللبناني-السنغالي، الذي عرض مؤخّراً عدداً وفيراً من المنحوتات في «غاليري صالح بركات» ببيروت، كما يصرّ مقدّموه، على أن أعماله لعبٌ بالأرقام؛ أرقام عاديةٍ في أحيان، وفوق العادية في أعمالٍ أخرى؛ كأن يستخدم الرقم 10452، الذي هو مساحة لبنان، في استعادة لجبران خليل جبران وآخرين؛ أي أنّ الرقم حينذاك يتحوّل إلى نشيد وطني. واضحٌ أنّ رقماً كهذا لا يكتفي بالتعداد. إنّه رمزٌ قبل كلّ شيء، رقمٌ مقدّس أو مبارك، عندئذ نصل إلى رمزية الأرقام، بل إلى أسطوريتها، إلى مجراها في الميثولوجيات والأديان والسياسة. يقدّم هادي سي عمله على أنّه هذا اللعب بالأرقام. والحال أنّ إصراره هذا يدعونا إلى التفتيش عن الأرقام في ثنايا منحوتات هي أحياناً تشابك غابيّ (من غابة)، وهي أحياناً أشكالٌ بسيطة. هنا قد نجد الرقم، وقد نتعب حتى نجده، لكنّه، في الحالين، ليس كلّ ما نطلبه في العمل، أو نبحث عنه ضمنه. حتى حين يبدو الرقم نافراً، ولا يختفي في التشابه، حتى ذلك لا يكفينا أن نجد الرقم، بل لا نقف عنده. إن «العمل» به وبدونه يملك هيئة وبناءً وقواماً، وبالتالي رسالة ورمزية، لا ينتهيان في الرقم أو يقتصران عليه. إن أنت جلت بنظرك في أعمال معرض «إنّها لعبة أرقام»، لن تلحظ هذه الأرقام أحياناً كثيرة. إذا بحثت ستجدها في ثنايا بعض الأعمال، التي لن تدلّ فقط على رقم أو أرقام، بل لن تعثر عليها وحدها. إنّنا غالباً نصادف أشكالاً لا تحملنا على تمييز الرقم، بل قد تخفيه عنّا، أشكالاً تحمل، في بنائها وتقاطعاتها ودواخلها، إشارات أخرى، ومعاني ثانية، ورسائل خاصة. نحن هكذا أمام منحوتات، لا نصل بالهيّن إلى هذا التشكيل الرقمي فيها، بل لولا عنوان المعرض، ومصادفة النحّات وسماعه، لما كنّا توصّلنا إلى هذا التفسير.

ثمّة منحوتات كثيرة تغيب تماماً هذه اللعبة الرقمية، بل يقتضي البحث عنها عملاً إراديّاً وإصراراً مسبقاً. حتى حين نجد الأرقام نجدها في أشكالها، التي تتصل بالرقم وغيره، والتي تتقاطع مع الرقم وأشياء أخرى. ما دام النحت تجريدياً، فإنّنا هكذا أمام الشكل وأمام جمالياته. الشكل، في تمامه، شيء آخر، في الغالب غير الرقم. إنّه في تركيبه وهندسته وحركاته عمل متكامل، شكل نهائي يدعونا إلى التفكير في النحت وتاريخه وأساطينه. منحوتات هادي سي تدعونا إلى هذه المراجعة، تدعونا إلى أن ندرجها هكذا في تاريخ النحت، إلى أن نتذكّر ونحن نراها أعمال برنكوزي، أو جاكوميتي أو هنري مور. لا أريد بذلك أن أردّ أعمال هادي سي إلى أيّ من هؤلاء، لكن واقعة أنّ أعماله تدعونا إلى التفكير بهؤلاء الأساطين، واسترجاع أعمالهم، ومقابلتها بالعمل الذي خلقه هادي سي. هذا لا يحدث إلّا لأنّ أعمال النحّات تملك من القيمة ومن القوّة ما يدعونا إلى استرجاع هؤلاء وتذكّر أعمالهم. هذا بحدّ ذاته شهادة مهمّة لفنّه، أي أنّ أعماله تندرج فوراً في مغامرة النحت، وفي مساره، وفي عيونه، والأساليب التي طبعته والأشكال الكبرى منه. ما قصّة الأرقام إذاً، لن ننفي هذه الميزة، بل هذه البداية وتلك الأصول الرقمية في عمل هادي سي، لكن لا نقف عندها، ولا نعتبرها أساس العمل ورسالته. هناك أرقام مقدّسة وأرقام أسطورية، لا يعنينا كثيراً أن نسترجعها، ولا يهمّ استخراج معاني الأعمال منها. الأرقام موجودة كما هي الأبجدية، أبجدية الأرقام هذه كالحروف قائمة بما تؤلّفه وتشكّله. لنقل

قد نجد الرقم وقد نتعب حتى نجده، لكنّه ليس كلّ ما نطلبه

إنّ هذه الأرقام أبجدية أعمال هادي سي، لكنّ ما يؤلّفه النحّات منها شي آخر.

قلت إنّ عمل هادي سي يردّنا إلى تاريخ النحت وإلى أساطينه، إنه يذكّرنا في أعماله بهؤلاء. نحت هادي سي هو هذه القدرة على الحبك والتشكيل في أعمال تبدو في التفافاتها، وفي تكاوينها وتداخلاتها وتشبيكها، ذات جمل شاعرية أو شعرية.

في العمل الواحد نجد ما يمكن أن يبدو نوعاً من التأنيث، من قصّة الخليقة، من قصيدة بالمعدن، من أساطير صغيرة، من إزاحة باتجاه الأرض والسماء. نجد في منحوتاته ذلك الشكل الذي يستدعي مزيجاً من الشعر، ومن الدين، ومن النشيد. عند ذلك نصح أن نفكّر بأسماء كبيرة، جياكوميتي مثلاً. فن هادي سي يضعنا هكذا، في معنى النحت وفي تاريخه.

(شاعر وروائي من لبنان)

من المعرض

إضاءة

جائزة أدبية جديدة لصاحب «الشعر لا يُهزَم»

عبد اللطيف اللّعبي تتويجٌ بأزهار تولوز

عادت «الجائزة الكُبرى للشعر باللغة الفرنسية» في نسختها الأولى للشاعر المغربي؛ حيث يُنتظر أن يتسلّمها في الثالث من الشهر المُقبل

محمد علاوة حاجي

أصبح الشاعر المغربي عبد اللطيف اللّعبي (مواليد فاس عام 1942) أوّل فائز بـ«الجائزة الكُبرى للشعر باللغة الفرنسية»، والتي أطلقتها «أكاديمية العاب الزهور» Académie des Jeux floraux في مدينة تولوز الفرنسية العام الماضي، بالتزامُن مع الذكرى المئوية السابعة لتأسيسها؛ حيث تُمنح لشعراء يكتبون بالفرنسية، بغضّ النظر عن جنسياتهم أو بلدان إقامتهم.

ويُنتظر أن يتسلّم اللّعبي الجائزة خلال حفل تُقيمه الأكاديمية في «مبنى الكابيتال» التاريخي بالمدينة الجمعة المُقبل، الثالث من أيار/ مايو القادم. وقبل يوم من ذلك، تصدر للشاعر المغربي، عن دار «لوكاستور استرال» الفرنسية، مجموعةٌ شعرية جديدة تحمل عنوان «على بُعد خطوتَين من الجحيم».

وتُضاف المجموعة إلى قرابة ستّين كتاباً تتوزّع بين الشعر والرواية والمسرحية والسيرة واليوميات والترجمة أصدرها اللّعبي منذ عام 1965؛ قرابة 23 منها كتبٌ شعرية؛ من بينها: «عهد البربرية» (1980)، و«الشمس تموت» (1992)، و«الخريف الموعود» (2003)، و«مبدأ الريبة» (2016)، و«الشعر لا يُهزَم» (2020)، و«لا شيء تقريباً» (2022)، و«الأرض برتقالة مُرّة» (2023).

أمّا الجائزة الجديدة، فتُضاف إلى مجموعة من الجوائز الأدبية الرفيعة التي حازها اللّعبي عن إصداراته الشعرية المختلفة؛ وأبرزها «جائزة الآن بوسكيه» عام 2006، و«جائزة غونكور للشعر» عام 2009، و«الجائزة الكبرى لأكاديمية اللغة الفرنسية» عام 2011، و«جائزة روجر كوالسكي للشعر» (تُعرف أيضاً باسم «جائزة الشعر الكبرى لمدينة ليون») عام 2021، إلى جانب «الجائزة الدولية للشعر: عصر ذهبي جديد» في المكسيك عام 2017، و«جائزة محمود درويش» في فلسطين عام 2020. وبدأت «أكاديمية العاب الزهور» عام 1323 كمنتدىً أطلقه سبعةُ شعراء لتبادُل الأفكار حول الشعر؛ حيث أطلقوا في تشرين الثاني/ نوفمبر من تلك السنة دعوةً لجميع الشعراء في تولوز وخارجها للمشاركة في مباريات أو مناظرات شعرية أصبحت تُقام سنوياً ابتداءً من أيار/ مايو عام 1324؛ حيث كان الشعراء الفائزون يحصلون على زهور كجوائز لهُم.

ولم تتخلّ «العاب الزهور» إلى أكاديمية بشكلها الحالي إلّا في نهاية القرن السابع عشر، وتحديداً عام 1694. وظلّت الأكاديمية محتفظةً بالتاريخ نفسه (الثالث من أيار/ مايو) لتوزيع جوائزها الشعرية المختلفة؛ ومن ضمنها الجائزة الجديدة التي عادت لعبد اللطيف اللّعبي.

يُمثّل اللّعبي أحد الأسماء البارزة في المشهد الثقافي المغربي والعربي والعالمي؛ وهو الذي ارتبط اسمه بمجلّة «أنفاس» التي أسّسها عام 1966 مع مجموعة من كتّاب المغرب، واستمرّت في الصدور حتى حظرها عام 1972، السنة التي اعتُقل فيها بسبب نشاطه في حركة «إلى الأمام» اليسارية، ولم يستعد حرّيته إلّا عام 1980؛ تجربةً وثّقها في كتابه «يوميات قلعة المنفى: رسائل السجن 1972 - 1980»، الذي صدر بالفرنسية عام 2005، وصدرت العام الماضي طبعةٌ جديدة منه بترجمة علي تيزلكاد عن «دار الرافدين» التي بدأت أخيراً بنشر أعماله المترجَمة إلى العربية، وآخرها كتابُه «شاعر يمرّ» الذي صدر قبل أيام قليلة.

قرابة ستّين كتاباً بين الشعر والرواية والمسرحية والسيرة والترجمة

اللّعبي في قراءة على هامش تسلّمه «الجائزة الدولية للشعر: عصر ذهبي جديد» في المكسيك، تموز/ يوليو 2017

فعاليات

ضمن فعاليات الدورة التاسعة من مهرجان «سيكا جاز»، تُعرض، عند الثامنة من مساء الاربعاء المقبل، في «مركز الفنون الركحية والدرامية» في مدينة الكاف التونسية، مسرحية **مكان** للمخرج الفلسطيني **حسن قاعود**. يمزج العمل بين الاداء المسرحي والموسيقى بالاستناد إلى نصوص للشاعر الفلسطيني **طه محمد علي** (1931 - 2011).

حتى الرابع من الشهر المقبل، يتواصل، في «المؤسّسة العامة للحي الثقافي» (كتارا) بالدوحة، **معرض الإبداعات التراثية والثقافية والمنتجات الفلسطينية**، الذي انطلق الجمعة الماضي. المعرض، المُقام تحت شعار «تراثنا ارضنا حكاية صمودنا»، يضمّ فعاليات ثقافية، ومحاضرات وندوات حول القدس، وإضاءة على حرف وصناعات يدوية، وعروضاً حيّة تحاكي الاسواف الشعبية الفلسطينية.

السوّال المجتمعي هو العنوان الأوّلي للمعرض الذي ستقيمه «مؤسّسة القطان» في رام الله، حيث وجّهت الدعوة للفنّانين والمجموعات الفنّية وصانعي الافلام والكتّاب والموسيقيّين، لتقديم طلبات المشاركة حتى منتصف الشهر المقبل. يستكشف المعرض ارشيفات المؤسّسات والوثائق الفلسطينية خلال السنوات الثلاثين الماضية.

يحتضن «متحف سرسق» في بيروت، عند السابعة والنصف من مساء الخميس المقبل، عرضاً ومناقشة للفيلم الوثائقي **خلف الدرع** (2022) للمُخرجة اللبنانية **سيرين فتّوح**. يوثّق الشريط لحظات من تاريخ العاصمة اللبنانية وحياة سكّانها بين انتفاضة 17 تشرين الأوّل/ اكتوبر 2019 وانفجار مرفإ بيروت في 4 آب/ اغسطس 2020.